من ١٤ ـ ٢٦ حزيران (يونيو)، وأخيراً حصار بيروت الذي استمر حتى ١٢ آب (أغسطس) ـ فيشدد المؤلف على أهمية معارك مثلث البرج الشمالي ـ البص ـ الرشيدية وعين الحلوة وخلدة في قلب الخطط الاسرائيليـة كافـة، رأساً على عقب، وفي رفع معنويات المدافعين في بيروت وإتاحة المجال لهم لتحصين مواقعهم. ويعتقد المؤلف بأن الجيش الاسرائيلي أخطأ أخطاء عدة فادحة، كان أهمها عدم الادراك ان القوات الفلسطينية المنسحبة من المناطق الريفية كانت ستندمج مع قوات الاحتياط والمليشيا في المدن لتواصل القتال المؤثّر، وعدم اقتحام بيروت فور الالتفاف على خلده، وإضاعة الوقت والجهود في معركة بحمدون.

ينتقل المؤلف، بعد ذلك، الى تقييم توقعات م.ت.ف. وادائها، بالمقارنة مع تلك التوقعات؛ فيدخل، بذلك، الى مجـال شائك، نظرياً وعملياً. ويميز على الفور بين التنبؤ العلني الذي اطلقه رئيس م.ت.ف.، ياسر عرفات، مراراً، حول اقتراب موعد الهجوم الاسرائيلي، وبين الاعتقادات الحقيقية او الاجراءات الفعلية للقادة السياسيين والعسكريين الفلسطينيين. لكن، بعد تأكيد أنه وجدت شوائب أساسية في بنية القوات الفلسطينية وانه كان بالامكان تخفيف الاصابات في جنوب لبنان وإطلاق حرب عصابات أوسع واسرع في مؤخرة العدو، يعتبر الخالدي أن قيادة م.ت.ف. قامت بما يمكن القيام به من استعدادات للحرب، ويرى ان غالبية الثغرات في تسليح وتدريب وتموين وعقيدة القوات الفلسطينية تعود الى مشكلات قديمة، وان مختلف المستويات القيادية تحملت المسؤولية عنها. كما يرى أن اصرار المقاتلين على خوض القتال، حتى بعد عزلهم، يدل على درجة من التوقع والتحضير. غير أن الحقيقة الجوهرية تبقى، في نظره، في ان التفوق الساحق للجيش الاسرائيلي كان سيلغي أية أفضليات فلسطينية، مهما كانت التهيئة جيدة.

يصعب، في الواقـع، الحسم في هذا الموضوع؛ اذ يقر المؤلف بان مستوى التخطيط والادارة في م.ت.ف. قد ارتقى كلما اقتربت المعركة من بيروت، مما يوحي بان التوقعات الميدانية لم تكن دقيقة، فيما يتعلق بمعـركـة الجنوب. أو بكلمة اخرى، اذا كان الهجوم متوقعاً، واذا كان تفوق الجيش الاسرائيلي سيضمن تشتيت القوات الفلسطينية حسب انتشارها السابق، فيصبح البرهان على وجود درجة مقبولة من التخطيط هو قدرة تلك القوات على الاستجابة السريعة، وبطريقة مؤثرة، لتطورات المعركة.

هنا، يصح، عموماً، ما يقوله الخالدي بان القوة الاسرائيلية المهاجمة، والتي بلغت ٨٠ ألف جندي منذ الايام الاولى، كانت ستحقق نفس الفوز الميداني ذاته والتقدم الشامل ذاته مهما فعل واحتاط القادة الفلسطينيون المحليون. كما يصح ما لمّح به سابقاً من ان ثمة خللاً مزمناً في التسلح والتدريب والعقيدة كان سيحد من فعالية القوات الفلسطينية، حتى لو تم تركيز وحدات اكثر في النقاط الحساسة. ويضاف، أخيراً، الى كل ما سبق، التذكير بحقيقة طال ما تجاهلها العديد من منتقدي قيادة م.ت.ف.، من ان المنظمة لم تكن تدير حشوداً عسكرية مجحفلة، بل وجد، في امرتها الفعلية، حوالى ٣٠٠٠ مقاتل متفرغ و ١٠ ـ ١٢ ألف عنصر ميليشيا (من التنظيمات كافة) يدافعون عن رقعة جغرافية لا تزيد على ٣٠٠٠ كيلو متر مربع تحتوي على ثلاث مدن رئيسة.

إلا ان كل ذلك لا ينفي غياب التخطيط الفعلي في مجالات معينة، ولا ينفي جدوى التخطيط، بل ولا ينفي انقطاع التواصل المنطقي المتوقع بين تنبؤ القيادة العليا الفلسطينية باقتراب موعد العدوان وبين الاجراءات العملية التي كانت ستترتب على ذلك التنبؤ، وهو الأمر الذي يقرّ به المؤلف (ص ٥٧)، فندرت الوحدات الفلسطينية التي فهمت موقعها الخاص ضمن السياق العام لتوقع هجوم اسرائيلي يصل بيروت: إذ ماذا ستكون محاور التقدم ونقاط الانزال ؟ وعند الاجابة على ذلك، ما هي الخطط البديلة لكل وحدة وكل موقع ؟ وقد تم حشد القوات، بناء على توقع عام مصيب، في جوار صور وصيدا والدامور، لكن أُغفلت مواقع وجوانب عديدة، كما أغفل رسم سلّم متعاقب من الاحتمالات والردود على كل مرحلة من مراحل القتال المتوقع.

توجد أمثلة عدة على ذلك. اذ يؤكد الخالدي ان القتال في منطقة صور أخّر القوات الاسرائيلية بعض الشيء، ويـظهر، أيضاً، من رواية رئيف شيف وأهود يعاري للحرب، ان تلك القوات ضلّت طريقها بين